

## البكاء من خشية الله وفضله

### خالد بن ضحوي الظفيري

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أَمَا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

عباد الله:

إِنَّ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ الَّتِي أَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِمْ: أَنَّهُمْ أَهْلُ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، جَمَعُوا بَيْنَ الْخَوْفِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَرَجَاءِ ثَوَابِهِ وَرَحْمَتِهِ مَعَ مَحَبَّتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ تَعَالَى فَاضْتِ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ، وَإِنْ تَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ زَادَهُمْ خَشُوعًا، وَإِنْ تَفَكَّرُوا فِي الْآخِرَةِ وَأَهْوَالِهَا وَالنَّارِ وَأَحْوَالِهَا وَعَذَابِهَا، أَزْدَادُوا خَوْفًا وَإِنَابَةً وَرَجُوعًا إِلَى رَبِّهِمْ وَمَوْلَاهُمْ.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

وَأَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ حِينَ يَسْمَعُونَ الذِّكْرَ وَالْقُرْآنَ، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣] فَسَمَاعُهُمْ لِكَلَامِ الرَّحْمَنِ يَرِقُّ قُلُوبَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ خَشُوعًا وَخَوْفًا مِنْ رَبِّهِمْ ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا \* وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُونَ فِيهِمْ خَشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧].

- ١٠٩.]

وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق وسيد البشر الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كان قدوة لنا في خوفه من ربه، وكثرة بكائه ودوام خشوعه ووجله من الله، وكان

بكاؤه بدون صراخ ولا صياح إنما كصوت غليان القدر، فعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيْرٌ كَأَزِيْرِ الرَّحَى مِنْ الْبُكَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواه أبو داود.

وكان إذا صلى الليل بكى فأين نحن من قيام الليل وأين نحن من خشية الله، عن عبيد بن عمير رضي الله عنه أنه قال لعائشة رضي الله عنها أخبرينا بأعجب شيء رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكتت ثم قالت لما كان ليلة من الليالي قال يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي قلت والله إني أحب قربك وأحب ما يسرك قالت فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت فلم يزل يبكي حتى بل حجره قالت وكان جالسا فلم يزل يبكي صلى الله عليه وسلم حتى بل لحيته قالت ثم بكى حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها إن في خلق السموات والأرض... الآية كلها. رواه ابن حبان في صحيحه وغيره.

وكان صلى الله عليه وسلم يحب سماع القرآن من غيره، فيرق قلبه ويتحدر دمه، خشية وخوفا وتدبرا، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأْ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ، قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قَالَ: حَسْبُكَ الْآنَ، فَالْتَفَتْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ». رواه الشيخان، وفي رواية لمسلم: «فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ». عباد الله:

هكذا عباد الله حال المؤمن مع ربه، فهو يقلب قلبه بين الخوف والرجاء، تجده رقيق القلب، إذا تذكر ما وعد به الله عباده، وما خوفهم به، تحدر دمه، وخشعت جوارحه، ولان قلبه، فأين أنت يا عبد الله من هذا؟، وما حال قلبك وعلى ماذا تحزن وتبكي، فراجعوا أنفسكم وأنبيوا إلى ربكم، قبل أن تندم على ما فرطت في جنب الله. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

## الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ اتَّبَعَ هَدَاهُ، وَأَشْهَدُ  
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَرْسَلَهُ رَبُّهُ رَحْمَةً  
لِلْعَالَمِينَ.  
أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ -عِبَادَ اللَّهِ- وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَنَصَرَهُ وَكَفَاهُ.  
عِبَادَ اللَّهِ: إن البكاء من خشية الله تعالى، دأب الصالحين، وقد جاء الثناء على صاحب  
القلب اللين والعين الباكية من خشية الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - : «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي  
الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ» رواه الترمذي. وقد ذكر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أن من بكى من خشية الله كان تحت ظل عرش الرحمن يوم القيامة: "   
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: وذكر منهم: ورجل ذكر الله خالياً ففاضت  
عيناه. متفق عليه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عينان لا تمسهما النار، عين بكت  
من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله " . رواه الترمذي. وقال النبي صلى الله عليه  
وسلم: " ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة من دموع خشية الله، وقطرة  
دم تهرق في سبيل الله، وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله "   
رواه الترمذي.

فيجب على العباد أن يستعدوا ليوم المعاد، فعن البراء رضي الله عنه قال كنا مع رسول  
الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال يا  
إخواني لمثل هذا فأعدوا. رواه ابن ماجه.

فلمثل هذا -عِبَادَ اللَّهِ- فأعدوا، فمن خاف في الدنيا من الله أمن في الآخرة من عذاب  
الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم يروى عن ربه جلَّ وعلا -  
قال: «وَعَزَّتِي! لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِينَ وَأَمْنِينَ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،  
وَإِذَا أَمَّنَنِي فِي الدُّنْيَا، أَخَفَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»